آداب

مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

ISSN 0302- 8844

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد 54

المجلد 1

يناير 2026

العدد ٥٤ المجلد ١. يناير ٢٠٢٦م

هيئة التحرير	الهيئة الاستشارية
رئيس التحرير	
أ.د. صديق مصطفى الريح	أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه
مدير التحرير	أ.د. علي عثمان محمد صالح
أ.د. أزهري مصطفى صادق علي	أ.د. جلال الدين الطيب
أعضاء هيئة التحرير	أ.د. رقية السيد الطيب العباس
أ.د. الصادق يحيى عبد الله	أ.د. حمد النيل محمد الحسن
د. محمد الفاتح حياتي	أ.د. الحسين النوريوسف
د. عفاف محمد الحسن	أ.د. يحيى فضل طاهر
د. رشا البارودي	أ.د. مبارك حسين نجم الدين
د. نادرة عبدالله علي	د. يونس الأمين
د. وليد نور الدائم	د. محاسن حاج الصافي
د. أحمد عبد المنعم	د. حسن علي عيسى
سكرتارية المجلة	
أ. وليد مدثر	
أ. سارة مأمون	

تعنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١
أو البريد الإلكتروني: Journal.art@uofk.edu أو siddig.alrayyah@uofk.edu

المحتويات

القسم العربي

١. التوظيف السياسي للأسطورة في المسرح السوداني (نبتة حبيبتي/ مأساة يرول أنموذجاً). د. سلوى عثمان أحمد محمد ١

٢. نماذج مختارة من تعدد آراء الفارسي في المسألة النحوية الواحدة. د. أديب محمد عبد الصفي .د. كمال حامد عبد الله ٤٥

٣. تقاطع اللسانيات الوظيفية مع مرحلة تأسيس البلاغة العربية. د. ندى نور الدائم سيد أحمد ٦٩

٤. الجواب النحوي على من ادّعى أنّ في القرآن خطأً نحويًّا. د. محيي الدين محمد جبريل محمد ٩١

٥. شُحُّ النفس في القرآن الكريم: دراسة نفسية. د. السر أحمد محمد سليمان ١١٩

٦. اللوحات الشعبية في شعر المجذوب. د. قاسم نسيم حماد حربة ١٥٣

٧. التمويل الإسلامي وأثره على القطاع الزراعي. د. أزهري عثمان إبراهيم عامر ١٩٣

٨. الدعم النفسي والاجتماعي وأثره في دور المرأة من وجهة نظر المرأة المتأثرة بالحرب. دراسة ميدانية على النساء السودانيات. د. أم العز يوسف المبارك ٢٢٧

القسم الأجنبي

9. The Role of Artificial Intelligence in Automating and Personalizing Lesson Planning for Teachers. Dr. Lana Hussain Ahmed Shahata, Elfadil Mahgoub Ibrahim Ahmed ……..…….. 299

10. Islam and Feminism: Negotiating Identity Between Conflict and Reconciliation. Maeed. Almarhabi …… 311

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
٤. يراعى في البحث ألا يتجاوز ١٠,٠٠٠ كلمة، وألا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة او الصفحات) مثال: (صادق. ٢٠٢١. ١٤) (Adams. 2000. 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:

للكتب وبحوث المؤتمرات:

- أحمد بدوي. **أسس النقد الأدبي عند العرب**. القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.

للمقالات والفصول في الكتب:

- قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". **عالم الفكر**. الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس ١٩٩٧م. ١١٣-١٢٨.

يراعي في المراجع الأجنبية النمط نفسه

٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
٩. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
١٠. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
١١. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فئته.

تقاطع اللسانيات الوظيفية مع مرحلة تأسيس البلاغة العربية

د. ندى نور الدائم سيد أحمد

جامعة الخرطوم- كلية الآداب، قسم اللغة العربية

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الصلة بين دراسات اللسانيات التداولية والوظيفية الحديثة، وبين بدايات البلاغة العربية القديمة، وذلك دون الدخول في قضايا تأصيلية أو مقارنات غير منهجية مثل ادعاء السبق أو سرقة التراث. اعتمدت الدراسة منهجًا نوعيًّا يقوم على الوصف والتحليل والاستقراء والمقارنة، من خلال تحليل نصوص بلاغية ونقدية لعدد من أعلام البلاغة العربية مثل الجاحظ وابن قتيبة وأبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني، وربطها بمفاهيم ونماذج حديثة في اللسانيات الوظيفية، كنموذج مستعمل اللغة الطبيعية والنحو الوظيفي، والنحو الوظيفي الخطابي. توصلت الدراسة إلى أن البلاغيين العرب قد التزموا – من حيث الممارسة لا التنظير – بمبادئ تتقاطع مع مفاهيم حديثة في تحليل الخطاب، وخصوصًا ما يتعلق بفكرة (لكل مقام مقال)، مما يعكس وعياً تداوليًّا وظيفيًّا مبكرًا لم يُسلَّط عليه الضوء بالشكل الكافي. توصي الدراسة بإعادة فحص التراث البلاغي العربي بمنهجيات لسانية حديثة تكشف عن عمق هذا التراث، وإسهاماته المحتملة في تطوير الدرس اللساني المعاصر.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، اللسانيات الوظيفية، الجرجاني، النحو الوظيفي الخطابي، تحليل الخطاب، معنى المعنى

Abstract

This study aims to explore the connection between modern pragmatic and functional linguistic approaches and the early development of classical Arabic rhetoric—without making foundationalist claims or engaging in arguments about precedence or appropriation of heritage. The study adopts a qualitative methodology that combines description, analysis, extrapolation, and comparison. It analyzes rhetorical and critical texts by prominent Arab scholars such as Al-Jahiz, Ibn Qutayba, Abu Hilal Al-Askari, and Abd al-Qaher Al-Jurjani, linking their insights to contemporary models in functional linguistics, including the natural language user model, functional grammar, and discursive functional grammar. The study concludes that classical Arab rhetoricians, though not theoretically explicit, demonstrated a practical commitment to principles closely aligned with modern discourse analysis—especially the notion that "every context has its discourse." This reflects an early pragmatic-functional awareness that has not received adequate scholarly attention. The study recommends re-examining Arabic rhetorical heritage using modern linguistic frameworks to uncover its depth and potential contributions to contemporary linguistic theory.

Keywords: Rhetoric, Functional Linguistics, Al-Jurjani, Functional Discourse Grammar, Discourse Analysis, Meaning of Meaning

المقدمة:

لم تكن البلاغة العربية الكلاسيكية مجرّد نظام بياني مغلق أو ترفٍ لغوي، بل مثّلت منذ نشأتها محاولة جادّة لفهم أصول التخاطب، واستيعاب الأثر الذي يحدثه المتكلم في سامعه، ضمن شروط المقام وسياق الاستعمال، وذلك في إطار قداسة موضوع دراستها (إعجاز القرآن). غير أنّ هذا البعد التداولي ظلّ مهمَّشًا في كثير من الدراسات المعاصرة التي تناولت البلاغة العربية بمنأى عن مناهج التحليل الحديثة، مكتفية بوصفها علمًا تراثيًّا منفصلًا عن حركية اللغة ووظيفتها الاجتماعية.

في المقابل، جاءت اللسانيات الوظيفية—منذ أعمال سايمون ديك (Simon Dik) وصولًا إلى هنكفلد (Hengeveld)، وماكنزي(J. Lachlan Mackenzie) ، ولفيلت (Willem Levelt) —لتعيد الاعتبار للخطاب بوصفه وحدة تواصليّة يتحكم فيها المقام، والنية، والحالة الذهنية للمتكلم والمتلقي. وقد أفرزت هذه المقاربة نماذج تحليلية متقدّمة مثل (نموذج مستعمل اللغة الطبيعية) و(النحو الوظيفي الخطابي)(Functional Discourse Grammar) ، تُعنى بفهم اللغة من داخل سياقاتها التداولية، لا بمعزل عنها.

من هنا تنطلق هذه الورقة، بافتراض أنّ كثيرًا من مفاهيم هذه النماذج الحديثة تجد لها امتدادًا—أو على الأقل تقاطعًا مفاهيميًّا—في الطور التأسيسي للبلاغة العربية، كما تجلّى في إشارات الجاحظ، وابن قتيبة، والعسكري، ومشروع عبد القاهر الجرجاني. وتتمثّل غاية البحث في تحليل بعض هذه المفاهيم البلاغية والنحوية، وقراءتها في ضوء اللسانيات الوظيفية الحديثة، للكشف عن أوجه التفاعل أو التقارب بين المسارين، بعيدًا عن خطاب الاستلاب أو دعوى الأسبقية.

يتّبع البحث منهجًا نوعيًّا وصفيًّا وتحليليًّا، يجمع بين الاستقراء والمقارنة، ويتوزّع على ثلاث محطات رئيسية: تمهيد نظري في مفهوم الخطاب اللساني، عرض تأصيلي للمفاهيم التداولية في تراث البلاغة، ثم تحليل نماذج تراثية في ضوء النحو الوظيفي الخطابي.

الدراسات السابقة:

شهدت السنوات الأخيرة تنامياً ملحوظاً في تناول البلاغة العربية ضمن أطر الدراسات اللسانية الحديثة، ولا سيما في ضوء التحولات التي شهدتها اللسانيات الوظيفية التداولية. ويلفت النظر أن جملة من الدراسات المنشورة باللغة الإنجليزية اتّسمت بصرامة علمية أعلى في توثيقها وتحليلها؛ إذ اعتمدت ضمن مصادرها المصادر الأصيلة للبلاغة العربية، ككتب الجاحظ والجرجاني، ونُظر فيها إلى الإشارات التداولية المبثوثة عند أئمة النحو العربي كسيبويه وابن جني.

وقد أبرزت دراسات متعددة هذا التحول في مقاربة البلاغة العربية من منظور لساني حديث، من ذلك التناول التطبيقي الذي قدّمته عدد من الدراسات اللسانية للقرآن الكريم، مثل دراسة سلوى العوا 2018م الروابط الخطابية في سور متوسطة الطول من القرآن الكريم، محلّلةً بنيتها التداولية، ومبرزةً دور أدوات الربط في تحقيق التماسك النصي وتوجيه الخطاب في مساره الحجاجي. ثم جاء عمل هشام الدين أحمد ونور فرحانة غفار ٢٠٢٥م ليقترح إطارًا لسانياً وظيفياً لتحليل الخطاب القرآني، يُبرز آليات بلاغية مثل الالتفات والمجاز في ضوء علاقتها بالوظائف التداولية، كالإقناع والتأثير العاطفي والدعوى. وفي سياق متصل، قدّم إبراهيم رمضان وأنور الخميس ٢٠٢٤م مدخلاً مفاهيميًا يجمع بين البلاغة العربية، ونظرية الحجاج والتحليل النقدي للخطاب، كاشفين عن أبعاد تداولية وسياسية للنصوص ضمن سياقات سلطوية محددة.

يعكس هذا التتابع البحثي توجّهًا متناميًا نحو إعادة قراءة البلاغة العربية في ضوء النظريات

اللسانية المعاصرة، بوصفها منظومة تواصلية منفتحة، تسمح لدارسيها –انطلاقا منها– بالتفاعل مع الدرس اللساني المعاصر، كما يكشف عن تبنٍّ معرفي لدى عدد من الباحثين الرافضين للقطيعة مع التراث، والساعين إلى الإفادة منه في تطوير أدوات التحليل اللغوي الحديث دون استلابٍ معرفي، أو قطيعةٍ منهجية. في المقابل، تسير بعض الدراسات العربية الحديثة باتجاه مغاير، إذ تناولت ميادة مبارك ٢٠٢٤م النظرية الوظيفية بالنقد والتحليل من منظور عربي، مؤكدةً ضرورة إعادة بناء المفاهيم التداولية في ضوء تطورات اللسانيات والتعليم والترجمة، دون أن ترفد دراستها بما يعضد عربية المنظور مثل ربطه بإرث العربية الثقافي التليد. وينطبق الأمر ذاته على دراسة عبد الوهاب صديقي ٢٠١٤م، الذي قدّم قراءة لمشروع أحمد المتوكل في تنميط الخطابات، ودراسة محمد زهّام ٢٠٢٥م، التي ربطت بين البيان العربي القديم والخطاب الإعلامي الحديث، دون أن تشير أيٌّ منها إلى علماء البلاغة والنحو قبل القرن السادس الهجري، رغم أن الدراستين اعتمدتا الاستضاءة بأعمال أحمد المتوكل، وعماد عبد اللطيف، وكليهما له قدم راسخة في استصحاب التراث العربي النحوي والبلاغي في الدراسات المعاصرة.

بناء على ما سبق فإن أهمية هذا البحث تأتي من تبنيه إنعام النظر في التراث البلاغي العربي، والإفادة منه في فهم اللسانيات الحديثة، مع عنايته على نحو خاص بالتقارب بين أحوال المتكلم والمخاطب في البلاغة العربية، وبين مكونات قوالب النحو الوظيفي الخطابي التي نظّر لها كلٌّ من هنكفلد وماكنزي ٢٠٠٨م، والتي لم تجد بعدُ حظّها الكافي من التلقي، والقراءة في حقل البحث العربي المعاصر.

مفهوم الخطاب:

ذهب محمد شومان إلى أنّ دراسات الخطاب والنص تبحث في بناء الوحدات اللغوية الكبرى ووظيفتها، مع عناية الخطاب باللغة والمجتمع، فهو "طريقة معينة للتحدث عن الواقع

وفهمه، كما أنه مجموعة من النصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص وانتشارها واستقبالها، مما يؤدي إلى إنشاء أو فهم الواقع الاجتماعي" (شومان،٢٠٠٧م، ٢٥). إن هذا التعريف للخطاب يتقاطع وتعريف ابن جني للغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، د.ت، ١/ ٣٤)؛ لأن الغرض يعكس الواقع الاجتماعي للقوم المعنيين، فالخطاب عند ابن جنّي وشومان هو أصل اللغة، بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبذا يكون تحليله: هو بيان واستخلاص واستنتاج تلك الأبعاد من الحروف والأصوات.

لقد اعتمدت اللسانيات الوظيفية تعريف الخطاب بأنه "كل إنتاج لغوي يُربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية" (المتوكل، ٢٠١٣م، ٤٨٤)، إنّ هذا الربط بين الوحدات اللغويّة وظروف إنتاجها المقاميّة يُحيل إلى العبارة التي رددها قدماء متأدبي العرب، مثل: الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربّه... إلخ، تلك العبارة التي نصها "لكل مقام مقال" (الجاحظ، ١٤٢٤هـ، ٣/ ١٧٣)، (الجاحظ، ١٩٦٤م، ٢/ ٩٣)، (ابن قتيبة، د.ت، ١٩) (ابن عبد ربه، ١٤٠٤هـ، ٢/ ١٢٥، و٣/ ١٤). وقد أشار سيمون ديك بوضوح إلى أن مستعملي اللغة لا يتواصلون عن طريق جمل منعزلة، بل إنهم يكوِّنون من هذه الجمل قطعا أكبر وأعقد، أطلق عليها لفظ الخطاب (المتوكل، ٢٠١٣، ٤٨٥). لاحقا ذهب ماكنزي إلى أنّ الخطاب هو المصطلح الذي يتيح لنا التعامل اللساني مع الكلمات والأصوات التي تعبّر -مثلا- عن الإعجاب والألم (Hengeveld & Mackenzie 2008, 3-4)، وأكاد -بتحفّظ- أُدخل مع الأخيرة أسماء الأفعال نحو (صه، أف).

معالجة الخطاب في نموذج تأسيس البلاغة العربية:

لا يمكن الجزم بتاريخ نشأة للبلاغة، لكن الأغلب أنها نشأت نتيجة تراكم شذرات من النقد، والمفاضلة بين الأشعار والخطب، في مجالس العرب وأسواقهم وأيام حروبهم المشهورة، من ذلك نقد النابغة أو الخنساء (العاملي، ١٣١٢هـ، ١١٠) لقول حسّان بن ثابت:

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحَى وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

وقد أورد قدامة بن جعفر هذه الحادثة مفصِّلا في المآخذ على حسّان، والرد عليها، وهو في تناوله لهذه الحادثة يعالج عددا من المسائل التي تعالجها هذه الورقة، لذا نقتبس قوله: "على أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة – كان أو من غيره – خطأ بيِّن، وأن حسان مصيب، إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده، وكان الراد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره. فمن ذلك أن حسان لم يرد بقوله: الغر، أن يجعل الجفان بيضاً، فإذا قصر عن تصيير جميعها أبيض نقص ما أراده، وإنما أراد بقوله: الغر، المشهورات، كما يقال يوم أغر ويد غراء، وليس يراد البياض في شيء من ذلك، بل تراد الشهرة والنباهة. وأما قول النابغة في: يلمعن بالضحى، أنه لو قال: بالدجى، لكان أحسن من قوله: بالضحى، إذ كل شيء يلمع بالضحى، فهو خلاف الحق وعكس الواجب، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء، فأما الليل فأكثر الأشياء، مما له أدنى نور وأيسر بصيص، يلمع فيه... وأما قول النابغة، أو من قال: إن قوله في السيوف: يجرين، خير من قوله: يقطرن، لأن الجري أكثر من القطر، فلم يرد حسان الكثرة، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويتعاودونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: سيفه يقطر دماً، ولم يسمع: سيفه يجري دماً، ولعله لو قال: يجرين دماً، لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب به." (قدامة، ١٣٠٢هـ، ١٨). إنّ هذا الخبر يُفيد نقطتين؛ أولاهما أنّ النقد الذي وجِّه إلى حسان اعتمد تحليل المقام الذي أنشأ فيه حسّان مقاله؛ فهو في موضع الفخر، أراد إثبات الكرم لأهله معتمدًا الكناية في قوله (لنا الجفنات...) ومقتضى أن تكون لهم الجفان، أنهم يطعمون الطعام، وخصصوا لذلك جفانًا، غير الجفان التي للاستعمال الأسريّ الضيّق. ثم لما أراد أن يثبت لهم الشجاعة والدفاع عن الجار والملهوف، استعمل كناية عن ذلك (وأسيافنا يقطرن من نجدة دما)، ويقطر الدم عادة من سيف القوي المنتصر. والأصل في الكناية أنها إظهار المعنى المراد بحجة على صدقه، دون استعمال لفظه المباشر، ليكون أقوى وقعا في نفس المتلقي، أو لنقل ليتصور في ذهن

المتلقي دون شك (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٦٦).

لقد جاء الإنكار على حسّان لعدم تمكّنه التام من استغلال الأداة البيانية التي اختارها، فبدل أن ترسخ في ذهن المتلقي صورة كرم أهله الفياض، لم يستطع أن يرسم في ذهنه إلا صورة تتراوح بين البخل والعادية، وبدل أن يثبت لهم الشجاعة واكتمال العتاد، أثبتَ قلة الجفان والأسياف. أما النقطة الثانية، فهي النقطة التي أشار إليها قدامة، فالمقام ليس مقام صدق، وإنما هو مقام شعر وفخر، وكان على حسان تجاوز رسم الصور المعتادة للمعاني التي أرادها بالمبالغة في إثباتها، بل والغلو في ذلك على حدّ تعبير قدامة (قدامة، ١٣٠٢هـ، ١٩).

إذا كانت البلاغة العربية قد نشأت من شذرات كهذا الخبر، فهذا يعني أن هذا العلم قد نشأ لبيان ضرورة مناسبة الكلام، لفظا ومعنًى، للمقام الذي ينشأ فيه؛ أي ربط البنية اللغوية بمقامها التواصلي، ربط تبعية على حد تعبير المتوكل (المتوكل، ٢٠١٣م، ٤٨٤). لكن، هل البلاغة هي العلوم الثلاثة التي تمايزت في مفتاح العلوم للسكاكي (السكاكي، ١٩٨٧م، ١٦١ –)، بيانا ومعاني وبديعا، ليشمل الأول التشبيه، الاستعارة، المجاز المرسل والكناية، ويدخل في الثاني الخبر والإنشاء والقصر، والفصل والوصل... إلخ، وتتسع أبواب الأخير لتصل إلى ما يزيد على الخمسين بعد المئة مصطلح (الحلي، ١٣١٦هـ، ٤)تُعنى بوجوه تحسين الكلام (السكاكي، ١٩٨٧م، ٤٢٣). وإن كانت هذه هي البلاغة، فضمن أي فروعها ندخل رواية الجرجاني عن ابن الأنباري: " قال: ركبَ الكنْديُّ المتفلسِف إلى أبي العبّاس وقال له: إني لأَجِدُ في كلامِ العَرب حَشْواً! فقال له أبو العباس: في أي وضع وجَدْتَ ذلك؟ فقال: أَجدُ العربَ يقولون: عبدُ الله قائمٌ، ثم يقولون إنَّ عبدَ الله قائمٌ، ثم يقولونَ: إنَّ عبدَ اللهَ لقائمٌ، فالألفاظُ متكررةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعني مختلفةٌ لاختلافِ الألفاظِ؛ فقولُهم: عبدُ الله قائمٌ، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبدَ الله قائمٌ، جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ، وقوله: إنَّ عبدَ اللهِ لقائمٌ، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قيامَهُ". (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٣١٥).

إذ في عبارة خلت ممّا تناولته دروس البيان والبديع والمعاني لاحقا، اتّضح أن البلاغة تعنى بأن تكون العبارة تناسب بدقة حال المتلقّي، وإن كانت المعلومة متصّلة بقيام عبد الله، إلا أنها صيغت بثلاثة مستويات، الأول يخلو من أداة تأكيد، لأنّه إخبار لمتلقٍ خالي الذهن، والثاني مؤكّد بـ(إنّ) ردّا على سؤال: ماذا يفعل عبد الله؟ أما الثالث، فمؤكد بـ(إنّ) و(اللام) لدحض إنكار قيام عبد الله. لقد عدّ الجرجاني (إن) أداة ربط، تربط الجواب بسياق السؤال، والجمل بعضها ببعض، قال: "وأَدلّ على أنْ ليس سواءً دخولُها وأنْ لا تدخل، أنكَ ترى الجملةَ إذا هيَ دخلَتْ تَرتبِطُ بما قبْلَها وتأتلفُ معه وتَتَّحدُ به، حتى كأنَّ الكلامَيْنِ قد أُفرِغا إفراغاً واحداً، وكأَن أحدَهُما قد سُبِكَ في الآخَرِ" (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٣١٦). واستشهد على ذلك بعدد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾** (الحج: ١)؛ فالتقوى استعداد لزلزلة الساعة، وقد أطال الجرجاني في بيان لطائف دخول (إنّ) ودورها في تغيير المعنى، وعلاقة هذا الدخول بحال كل من المتكلم والمتلقي (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٣١٥-٣٢٧)، لكن كل ذلك اختفى من الدرسَين النحوي، والبلاغي العربيين بعد ذلك، حتى حين جاء المتوكل ليدرس قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية المعاصرة، لم يتجاوز ما قدمه النحاة من أنّ (إنّ) أداة تقتضي التوكيد (المتوكل، ٢٠١٣م، ١٧٥-١٧٩)، ولم يتناول أبعاد استعمال هذا التوكيد، تداوليا، على النحو الذي قدّمه الجرجاني؛ فمعالجة الجرجاني ربطت بين البنية التركيبية والمستوى التداولي (المقام التواصلي)، ربطا جعل النحو التركيبي، مرآة تعكس صورة المقام التواصلي.

نموذج متكلم اللغة الطبيعية في البلاغة العربية:

تحدّث ديك ١٩٨٩م عن قدرة تواصلية تتوفر لدى مستعمل اللغة الطبيعية، وهي تتكون من خمس ملكات على الأقل: الملكة اللغوية؛ التي تمكّن صاحبها من إنتاج وتأويل صحيحين لعبارات لغوية ذات بنيات متنوعة ومعقدة جدا، تختلف باختلاف المواقف التواصلية التي تُنتج فيها.

الملكة المنطقية؛ التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من اشتقاق معارف من الخطاب بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

الملكة المعرفية؛ مسؤولة عن تكوين رصيد معرفي منظم يمكّن صاحبها من اشتقاق وتخزين المعارف بحيث يستحضرها في تأويل العبارات اللغوية. الملكة الإدراكية؛ التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إدراك محيطه وأن يشتق من ذلك معارف يستخدمها في تأويل وإنتاج العبارات اللغوية. أما الملكة الاجتماعية؛ فهي وسيلة متكلم اللغة الطبيعي إلى معرفة وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها غيره، في موقف تواصلي معين، لتحقيق غرض تواصلي معين. (المتوكل، ٢٠١٣م، ٢٤ وما بعدها). سعى ديك في نمذجة الملكة اللغوية بغية الوصول إلى نحو تحقق فيه كفايات ثلاث: الكفاية التداولية، بحيث يمثل لكل الخصائص التداولية للعبارات اللغوية، داخل القالب النحويّ ذاته، في مستوًى سابقٍ للمستوى الذي تتحقق فيه الخصائص البنيوية. أما الكفاية الثانية، فهي الكفاية النفسية: أي أن يكون هذا النحو ملائما -غير معارض- لما أنتجه علم النفس المعرفي حول سلوك اللغوي، فأقصى بذلك القواعد التحويلية، وسعى لبناء قالب يتضمن جهازين أحدهما توليدي (يفسر توليد اللغة)، والآخر تحليلي (يفسر تحليل اللغة). أخيرا هدف ديك إلى الوصول إلى الكفاية النمطية، أي الوصول إلى نموذج نحويّ قادر على أن يصف لغات تنتمي إلى أنماط مختلفة، مما يقتضي أن يكون هذا النحو صوريّا/ تجريديّا، وواقعيّا يحترم خصوصية الأنظمة اللغوية المختلفة. (المتوكل، ٢٠١٣م، ٢٨ -)

إنّ القارئ للبلاغة العربيّة القديمة- قبل أن تتحول درسا جامدا يطلب من التلميذ فيه بيان نوع الاستعارة وتحديد المحسِّن البديعي- يجد أن القوالب التي أشار إليها ديك ١٩٨٩م عولجت من خلال النقد والتذوق، على النحو الذي بيّناه في نقد شعر حسّان أعلاه؛ فالكناية عن الكرم والشجاعة، لا يمكن أن تنتج أو تفهم إلا من خلال تفعيل القالب القصدي لغرض الفخر مقصدا

تواصليا، الأمر الذي يجعل القالب المعرفي يختار صفتي الكرم والشجاعة، ويتفاعل مع القالب الإدراكي الذي يستدعي أدوات الكرم (الجفان)، والشجاعة (السيف)، ويفعّل القالب المنطقي أن ورود هذه الأدوات يؤكد خبرا غير مصرّح به، فعلى المستوى العلاقي القوة الإنجازية مستلزمة حواريّا (المتوكل، ٢٠١٣م، ٥٣٩)، وهي تأكيد كرمهم وشجاعتهم. أما القالب الاجتماعي فحدّد علاقة المتكلم (حسان) المتوحدة في ذات الجماعة التي ينتمي لها، وعلاقته الاستعلائية مع المتلقي، باختياره ضمير الجمع، وحرف الجر الذي يفيد التملك في صدر عبارته (لنا الجفنات ...). وقد عالج الجرجاني القوة الإنجازية المستلزمة حواريا (حسب التسمية الحديثة)، من خلال ما أسماه (معنى المعنى)، الذي فحص من خلاله أبواب البيان الأربعة، وفسّره بقوله: "تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى، أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنى آخرَ." (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٢٦٣). وقد ظهرت آثار دراسة معنى المعنى في مطلع القرن العشرين؛ فكان كتاب (The Meaning of Meaning) أو (معنى المعنى) لشارلز قودن وإيفور آرمسترونق (Richards Ivor Armstrong & Charles K. Ogden) الذي يُلخص المثلث أدناه (C. K. Ogden and I. A. Richards. 1989. 11) رؤيتهما فيه:

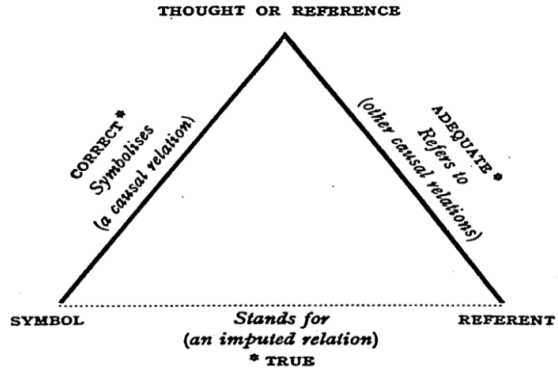

رسم توضيحي رقم (١)

فبصرف النظر عن علاقة كاتبي الكتاب بعبارة الجرجاني، يمكننا القول بأن هذا الرسم ما هو إلا ترجمة لعبارة الجرجاني عن (معنى المعنى). "وهي أن تقول: (المعنى)، و(معنى المعنى)، تعني بـ(المعنى) المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة، و(بمعنى المعنى)، أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنى آخرَ" (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٢٦٣) والتي يفسر بها جعلهم "الألفاظَ زينةً للمعاني وحِلْيةً عليها"(الجرجاني، ١٩٩٢م، ٢٦٣) على "أنهم يضعون كلامًا قد أعطاكَ المتكلمُ أغراضَه فيهِ مِنْ طريقِ معنى المعنى، فكنَّى وعرَّضَ، ومثَّل واستعارَ، ثم أحْسَنَ في ذلك كلِّه وأصاب"(الجرجاني، ١٩٩٢م، ٢٦٣)، حيث يرى الجرجاني "أن المِعْرَضَ وما في معناه، ليس في اللَفْظَ المنطوقَ به، ولكنْ معنى اللفظِ الذي دَلَلْتَ به على المعنى الثاني"(الجرجاني، ١٩٩٢، ٢٦٣)، فهنا يُقرأ المعنى على أنّه الغرض التواصلي الذي اتّخذ القوة الإنجازية المستلزمة أسلوبا خطابيا، يجبر القالب المنطقي والإدراكي والاجتماعي على التفاعل مع القالب النحوي إنتاجا للخطاب وتأويلا له.

نحو نحوٍ وظيفي للخطاب، أم نحو قراءة للتراث؟

لقد قسّم ديك الخطاب بناءً على عدد من المعايير إلى أنواع، فبمعيار الوسيلة هناك خطاب منطوق، وآخر مكتوب. وبمعيار المشاركة هناك الخطاب الفردي (monologue) والثنائي (dialogue) والجماعي (polylogue). بمعيار علاقة المشاركين، هناك الخطاب المباشر (وجها لوجه)، أو شبه المباشر عبر الهاتف، أو التلفاز... إلخ، وغير المباشر الذي ضمّنه كتابة النصوص وقراءتها. بمعيار الرسمية هناك خطاب المؤسسات الرسمية، وخطاب غير رسمي كالذي بين الأصدقاء. أما بمعيار الأغراض فنجد الخطاب السردي، والحجاجي، والدعائي...إلخ. لقد صنّف ديك تحت هذه الأنواع الحوار، المقابلة، المحاضرة، المحادثة الهاتفية، الاجتماعات، الرسائل، وقصص الأطفال، وذهب إلى أنّ اختيار نوع الخطاب له أثره الواضح في البناء اللغوي. (Dik. 1997. 417)

إنّ ما فصّله ديك أواخر القرن العشرين، ورد مجملا في قول ابن المقفع: " البلاغة اسم لمعانٍ تجرى في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، وربّما كانت رسائل." (العسكري، ١٤١٩هـ، ١٤).

لقد شرح العسكري قول ابن المقفع مبيّنا أن السكوت يعد بلاغة مجازا، وذلك "إما عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، ولا يرتدع بكلمة التقوى"(العسكري، ١٤١٩هـ، ١٤)؛ فإضافة إلى استعمال العسكري لكلمة خطاب بالمفهوم الحديث في هذا السياق، نجد أنّه بيّن المستويات التداولية بين المتكلم والمخاطب التي تُلزم المتكلم الصمت، وتجعله يعدل عن قصد التواصل اللفظي مع مخاطَب بعينه إلى تواصل غير لفظي. أما قول ابن المقفع: "البلاغة في الاستماع"، فقد فسّره العسكري بالقول: "إنّ المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدّي إليه الخطاب. والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى. وقال إبراهيم الإمام: حسبك من حظّ البلاغة ألّا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع." (العسكري، ١٤١٩هـ. ١٦)

هذا الدور الرئيسي الذي يلعبه المتلقي (المخاطَب) في عملية التواصل اللغوي أشار إليه هنكفلد وماكنزي في مدخلهما لتمثيل المستوى العلاقي بالقول: إن المتكلم ربما يكون مضطرا للتعامل مع سوء الفهم، والمقاطعات، والمشوشات بل حتى لرفض غرضه التواصلي، وأنّ تحقيق الغرض التواصلي للمتكلم محكوم بسلسلة من الأفعال المقيّدة بالأسلوب العام، وأنّ هذه الأفعال (يقصد القرارات اللغوية) تأخذ (Dik 1997) محلها في معرفة المتكلم لحقيقة كون المتلقي له أغراض التواصلية وأساليبه لتحقيق هذه الأغراض.

على الرغم من أنّ أحوال المتكلم والمتلقي تدرس ضمن حقول البلاغة، وجد هنكفلد وما كنزي نفسيهما مضطرين لوضع تصورات وتمثيلات لها ضمن نموذجهما للنحو الوظيفي الخطابي،

(Hengeveld & Mackenzie. 2008. 47) وهو نموذج قائم بالأساس على تطوير النموذج الأخير الذي قدّمه ديك، بل الذي مهّد له في فصل عنوانه: (Dik 1997, 409) Towards a functional grammar of discourse؛ لأنّ هذه الأحوال هي التي تحدد بنية الخطاب، ولم يوردا أي اقتباس يفيد اطلاعهما على هذه الأحوال في البلاغة العربية، فبرغم معالجة النموذج لعدد من اللغات، يبدو أن فريقهما البحثي افتقر إلى مطَّلِع على النحو والبلاغة العربيين.

الوظائف النحويّة والدلالات التداولية:

في النماذج الأولى للنحو الوظيفي كانت الوظائف الدلالية سابقة للوظائف التداولية، ثم حدث جدال في الأمر، ووضعت الوظائف التداولية في نفس مرتبة الوظائف الدلالية، بعد أن كانت مع الوظائف التركيبية، وبيّن المتوكل أنه في افتراض ديك يكون الأقرب أن تسند للحدود (المدخل المعجمي) الوظائفَ الدلالية ثم التركيبية، تليهما التداولية (المتوكل، ٢٠١٣م، ٥٦٣). هذا الافتراض يسقط عن النحو الوظيفي سعيه لتحقيق الكفاية التداولية التي تفترض أن المستوى التداولي يجب أن يمثّل له داخل المكوّن النحوي، وأن يكون سابقا ومشرفا على بقيّة المستويات، كما يسقط عنه الكفاية النفسية، إذ حسب ما قدّمه (Levelt) في كتابه (الكلام: من النية إلى التعبير: Speaking: From Intention to Articulation) – الذي مثّل نقلة في علم النفس المعرفي، واللسانيات التداولية والحاسوبية– تبدأ عملية الكلام بتحديد القصد التداولي، فتحديد المضمون الدلالي المناسب له، ثم من بعد تأتي عملية مَفْصَلة التركيب، ومن ثَمّ التحقيق نطقا، أو كتابة، أو إشارة. (Berg 1990) (Taylor 1990)

في ٢٠٠٨م، قدّم هنكفلد وماكنزي نموذجا للنحو الوظيفي الخطابي يتلاءم ورؤية ليفيلت وديك لعملية إنتاج الكلام، إذ يضع نموذجهما التمثيل التداولي مشرفا على جميع المستويات الأخرى، وإن كان هو والتمثيل الدلالي يحدثان داخل عملية واحدة، هي عملية الصياغة.

الرسم التوضيحي ٢ يبيّن البنية العامة لنموذج نظرية نحو الخطاب الوظيفي:

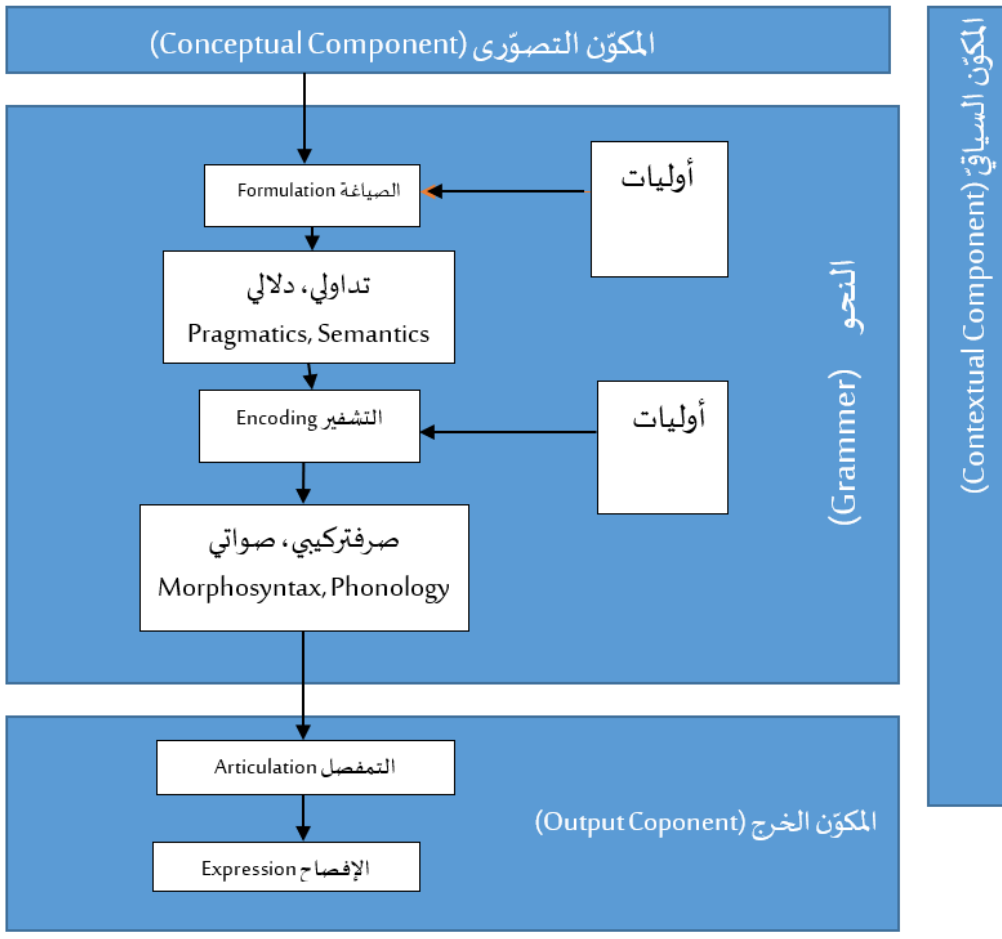

رسم توضيحي رقم (٢)

في هذا النموذج تنطلق عمليّة الصياغة من المكوّن التصوّريّ، ويمثّل فيها للقصد التواصليّ ضمن المستوى العلاقي/ التداولي (Interpersonal Level)، ثم يكون التمثيل الدلالي في المستوى التمثيلي (Representational Level). في هذا النموذج المستوى العلاقي/ التداولي هو الذي تتحدَّد فيه علاقة المتكلّم بالمخاطب، وعلاقته بفحوى كلامه، بينما يربط المستوى التمثيليّ بين فحوى الكلام

وصيغة التعبير عنه، هل هي تعجب؟ إخبار؟ استفهام...إلخ، فهو مستوى يُعنى بتمثيل المعلومات في الخطاب. حينما يتحدّد الخطاب من خلال عملية الصياغة على المستويين التداولي والدلالي/ التمثيلي، يقدّم هذا الخرج لعملية التشفير، حيث تحوّله مجموعة من القواعد الصرف-تركيبيّة إلى المستوى الصرف-تركيبيّ، ثم تحوّله من مجموعة من القواعد الصواتيّة إلى المستوى الصواتيّ، ويسلّم بذلك خرج المكون النحوي للمكون الخرج، حيث تحوّله قواعد التمفصل إلى تعبير سمعيّ أو بصريّ .(Hengeveld & Mackenzie. 2008. 13)

عليه، فإنه وفق أحد أحدث نماذج النحو الوظيفي، يمكننا أن نحلل الأفعال الخطابية، من خلال بنيتها التركيبية وصولا إلى القصد التواصلي، مع تجنّب النموذج لفحص المقام التواصلي، حال كونه لم يملك أثرا واضحا في البنية الخطابية(Hengeveld & Mackenzie. 2008. 47) ! إنّ اللغة وسيلة الإنسان للتواصل، وللتعبير عن أفكاره، وهي أيضا وسيلته لترفيه، وإظهار الذكاء، هذا التعدد في الوظائف، لا بدّ أن يؤثر على البنية الخطابية، وهي وظائف كلها مرتبط بسياق التواصل، عليه القول بأنّ هناك سياقات مقامية لا تؤثّر على بنية الخطاب من ناحية تركيبية، عبر إسناد الوظائف النحوية يبدو أمرا مستحيلا وغير منطقي. إنّ المستوى التركيبي، هو انعكاس للمستوى الدلالي الذي تمثله مفردات/ معجم اللغة المعيّنة، وهذا المستوى الدلالي، التمثيلي، لا يمكن تصوّره إلا في حالة سياق مقاميٍّ محفّز، هو المستوى التداولي/ العلاقي.

قدّم الجرجاني في القرن الخامس الهجري قراءة عميقة لأثر التداول على البنية النحويّة، وأنه ليس في اللغة ترتيبا عبثيا للمفردات، قال: "ومما ينبغي أنْ يَعْلَمهُ الإِنسانُ ويجعلَه على ذكرٍ، أنه لا يُتصوَّرُ أنْ يتعلَّقَ الفكْرُ بمعاني الكَلِم أفراداً ومجرَّدةً من معاني النحو، فلا يقومُ في وهْمٍ ولا يصِحُّ في عقْلٍ، أنْ يتَفَكَّرَ مُتفكِّرٌ في معنى (فعلٍ) مِنْ غيرِ أن يُريدَ إعمالَه في (اسْمٍ)، ولا أن يتفكَّر في معنى (اسْم) من غَيْرِ أنْ يُريدَ إِعمال (فعلٍ) فيه، وجَعْلَه فاعلاً له أو مفَعولاً، أو يريدَ فيه حكْماً سوى ذلك

من الأحكام، مثْلَ أن يُريدَ جَعْلَه مبتدأً، أو خبراً، أو صفةً أو حالاً، أو ما شَاكَلَ ذلك. وإنْ أردْتَ أن تَرى ذلك عِياناً فاعْمَدْ إلى أيِّ كلامٍ شئْتَ، وأزِلْ أجزاءَهُ عن مواضِعها، وضْعاً يَمْتَنِعُ معه دخولُ شيءٍ من معاني النحو بها، فقل في:

قِفَا نَبْك مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

(مِنْ نَبْك قِفَا حبيبٍ ذكرى منزِلِ)، ثم انظرْ هل يتعلَّقُ منكَ فكْرٌ بمعنى كلمة منها؟

واعلم أني لست أقول إن الفكْرَ لا يتعلَّق بمعاني الكَلِمِ المفردَةِ أصْلاً، ولكن أقولُ إنه لا يتعلَّقُ بها مجرَّدَةً من معاني النحْو، ومنْطوقاً بها على وجهٍ لا يتأتَّى معه تقديرُ معاني النحو وتوخِّيها فيها" (الجرجاني،١٩٩٢م، ٤١٠).

فالتعبير عن الغرض التواصلي، لا يظهر إلا من خلال إسناد الوظائف النحويّة التركيبية، وهو ما عبّر هنكفلد وماكنزي عن ظهوره باستراتيجية المتكلم .(Hengeveld & Mackenzie 2008. 46). إنّ اقتباسا طويلا كالذي اقتطعناه من الجرجاني كان لا بدّ منه قبل الإحالة إلى تناوله بيان أثر القصد التواصلي في البنية الخطابية وهو يفسّر الإعجاز في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (هود: ٤٤) إذ أشار إلى دقائق إسناد النداء للأرض، واستعمال البناء للمجهول، وغيرها من التفاصيل (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٤٥).

تأثر الخطاب بالسياق الاجتماعي:

يبدو أنّ أكثر الثقافات، وأغلب الحضارات منذ القديم قد اتفقت على ضرورة بناء الخطاب

بما يتناسب وحال المخاطب، وقد ورد عند الجاحظ نقل عن تعريف البلاغة في الهند، يُلزم المتكلم بأن "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة." (الجاحظ، ١٤٢٣هـ، ١/ ٩٥)، وفي موضع آخر ينقل الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتمر:"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" (الجاحظ، ١٤٢٣هـ، ١/ ١٣٥).

إنّ هذه العبارات تشير بوضوح إلى أنّ التراث العربي القديم، في أصوله، وإفادته من الترجمة، قد وعى إلى أنّ التقسيم الاجتماعي الطبقي يعدُّ معطًى لا مهرب من إسقاطاته على المنتج اللغوي؛ بمعنى أنّ لطبقة السوقة الحق الكامل في اختيار معجم وبنيات تركيبية تتناسب وأغراضهم التواصلية، في مقام يتسم غالبا بالبساطة والعملية، وعلى المتكلم إن كان من خارج هذه الطبقة، أن يراعي قواعدها عند توجيه الخطاب لها، وإلا فشل في إيصال غرضه. بالمقابل للطبقة الحاكمة أن تحافظ على بنية خطابية تعكس مستواها الاجتماعي، وهي غالبا ما تتبنى قواعد أكثر صرامة ومعجما أشد كثافة وتعقيدا من طبقة السوقة؛ فـ "مدار الأمر على إفهام كلّ قوم بقدر طاقتهم، والحمل عليهم على قدر منازلهم" (العسكري، ١٤١٩هـ، ٢٠).

قدّم ديك معالجة لمسألة الطبقات الاجتماعية وأثرها على الخطاب، احترمت كون هذا التناسب بين مستوى اللغة والطبقة الاجتماعية أمر مشترك بين اللغات، وشبّه هذا التناسب بالقطعة الموسيقية، التي تنسجم نغماتها بعضها مع بعض، وصولا للاكتمال؛ إذ يظل المتكلم في يتّخذ سلسلة من القرارات أثناء الخطاب، ذلك وفق ما يقتضيه نوع الخطاب، الذي سيترتب عليه أسلوبه؛ ففي خطاب نوعه أنه محاضرة أكاديمية، غالبا، لن يبدأ المحاضر بدعوة الطلاب للعب (Dik. 1997. 417). فأسلوب الخطاب سيتأثر بالمقام الذي قد يقتضي تهذيبا مفرطا عند التعامل مع الشخصيات

الاعتبارية، وذات التهذيب قد يعد سخرية وتهكما أو حتى تهديدا إذا استعمل في خطاب موجّه من الأعلى على الأدنى، كالذي ورد في تفسير الزمخشري (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٤/ ٤٨٢) لقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان: ٤٩)، فالمقام التواصلي، الذي من مكوّناته الطبقة الاجتماعية سيحدد الأسلوب/ الاستراتيجيّة التي سيلجأ إليها المتكلم لتحقيق غرضه التواصلي.

الخاتمة:

أثبتت هذه الورقة فرضيتها القائلة بأن التراث العربي في علم البلاغة لم يلق ما يليق به من عناية في اللسانيات الوظيفية رغم ما قدّمه البلاغيون العرب من أفكار متصلة بالخطاب والتداول والسياق. ففي النماذج الحديثة التي قدّمتها اللسانيات الوظيفيّة، عولجت البنية اللغوية من خلال مستويين، الأول من خلال كون اللغة ملكة من ملكات التواصل، يتفاعل قالبها النحوي مع بقيّة القوالب (المعرفي والمنطقي والإدراكي والاجتماعي)، ذلك في إطار نموذج مستعمل اللغة الطبيعيّة، الذي قدّمه ديك ١٩٩٧م، أثناء السعي لبنينة نحو وظيفي يحقق الكفاية النفسية وفق ما قدمه ليفيلت ١٩٨٩م، لقد قدّمت الورقة نماذجَ من النصوص التي وردت عند قدامة بن جعفر والجاحظ والجرجاني؛ تثبت وعيهم لضرورة تفاعل هذه القوالب في إنتاج الوحدة الخطابية وتأويلها.

في المستوى الثاني، عالجت اللسانيات الوظيفية الخطاب داخل القالب النحوي، وفي نموذج النحو الوظيفي الخطابي الذي قدّمته هذه اللسانيات ضمن نماذجها الأحدث، مُثِّل للوحدات الخطابية، بحيث يكون التداول مشرفا على الدلالة ومن ثم التركيب في حالة الإنتاج، ويبدأ التحليل من التركيب، الذي من شأنه أن يعكس كل المستويات السابقة له في عملية الإنتاج، لقد مثلت هذه الورقة لهذا النمط من التحليل داخل المكون النحوي بأمثلة من عبد القاهر الجرجاني، وهي ترى أنّ نظرية النظم التي قدّمها الجرجاني قدّمت نماذجَ واضحة ومباشرة في تحليل البنية التركيبية وصولا إلى القصد التداولي، مع الوعي بتفاعل قوالب القدرة التواصلية في نفس الوقت، وذلك من خلال

الأمثلة البيانية التي فككها الجرجاني. أخيرا.

لقد قامت اللسانيات الوظيفية على افتراضين أساسيين: وظيفة اللغة هي التواصل، والوظيفة هي التي تؤثر على البنية، الأمر الذي لخصته العبارة العربية القديمة "لكل مقام مقال"، ونظر العرب في المقام على أنه غرض المتكلم، ونوع خطابه، وحال المخاطب، فعالجوا كل ذلك في مجالسهم قبل الإسلام، وكتبهم بعده. وخلاصة القول: إن النحو والبلاغة العربيّين علمان يعنيان بتحليل البنية الخطابية، وهما على قدمهما عالجا بكفاءة أهم ما قامت عليه اللسانيات الوظيفية في تصورها تفاعل عدة قوالب عند المتكلم والمخاطَب مع القالب النحوي لإنتاج الكلام.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

العربيّة:

- الجاحظ، عمرو بن بحر:
  - **البيان والتبيين**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.
  - **الحيوان**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤هـ.
  - **رسائل الجاحظ**، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٢م.
- ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر، قسطنطينية**، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، القاهرة، الهيئة المصرية العاملة للكتاب، د.ت.
- الحلي، صفي الدين، **شرح بديعية صفي الدين الحلي**، المطبعة العلمية، ١٣١٦هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- زهّام، محمد. البلاغة ومساهمتها في تحليل الخطاب. **مجلة جسور المعرفة**، مج. ١١، ع. ١، ٢٠٢٥م.

- السكاكي، يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، تح: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- شومان، محمد، **تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م.
- صدّيقي، عبد الوهاب، نحو الخطاب الوظيفي: من تنميط اللغات إلى تنميط الخطابات – مقاربة أحمد المتوكل نموذجًا. **مجلة الدراسات الأدبية واللغوية**، مج. ٥، ع. ٢، ٢٠١٤م.
- العاملي، زينب بنت علي، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية ١٣١٢هـ.
- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ.
- العسكري، أبو هلال، **الصناعتين**، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، **أدب الكاتب أو أدب الكتّاب**، تح: محمد الدالي، د.م ، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- المبارك، ميادة. النظرية الوظيفية: النشأة والمؤثرات والمبادئ، مع الربط بالمنجز اللغوي العربي. **دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مج، ٥١، ع. ٣، ٢٠٢٤م.
- المتوكل، أحمد، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية**، الرباط، دار الأمان، ٢٠١٣م.

الإنجليزية:

- Ahmad, Hishomudin, and Norfarhana Ahmad Ghafar. 2025. Stylistic and Linguistic Variation in The Qur'an: Toward an Integrative Framework. *Quantum Journal of Social Sciences and Humanities* 6, no. 3: 424-433.

- Berg, Thomas, 1990. Speaking: From Intention to Articulation, Willem J.M. Levelt (review), *The American Journal of Psychology* 103, no. 3 pp. 409-418.
- Dik, Simon C., 1997, *The Theory of Functional Grammar, Part 2: Complex and Derived Consttructions*, Kees Hengeveld (ed), Berlin. New York, Mounton do Gruyter.
- El-Awa, Salwa. 2020. Discourse Markers and the Structure of Intertextual Relations in Medium-Length Qur'anic Surahs: The Case of Sūrat Ṭāhā (Q 20). *In Structural Dividers in the Qur'an*, pp. 232-263. Routledge,
- Hengeveld, Kees and Mackenzie, J. Lachlan, 2008. *Functional Discourse Grammar: A typologically-based theory of language structure*, New York, Oxford University Press.
- Ogden, C. K. and Richards, I. A., 1989. *The Meaning of Meaning, introduced by Umberto Eco, United State of America*, A Harvest/ HBJ book.
- Ramadan, Ibrahim, and Abdulrahman Alkhamis. 2024. Arabic And Western Rhetoric: A Conceptual Introduction to Argumentation Critical Discourse Analysis" *Ijaz Arabi Journal of Arabic Learning* 7, no. 1.
- Taylor, M. Martin, 1990. "Speaking: From Intention to Articulation Willem J.M. Levelt (review)", *Computational Linguistics*. 16 /1, pp. 52–56.